

المناهيم الموشومت

الدكتور عبد الله الغدامي والانقلاب على النسوية
ملاك الجهني



f
namacenter



namacenter



namacenter

info@nama-center.co



ذم



مركز الأسماء للأبحاث والدراسات
Name Center for Research and Studies

بجدة، المملكة العربية السعودية

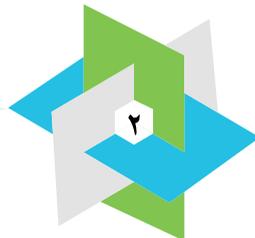


المفاهيم الموشومة

الدكتور عبد الله الغدامي والانقلاب على

النسوية

ملاك الجهني





المفاهيم الموشومة

الدكتور عبد الله الغدامي والانقلاب على النسوية

« إذا كانت الأفعال نفسها قد أقامت الحُجَّة، فقد مهَّدت لها الكلمات، وتحركات القوة رسمت الكلمات ظلالها، بل وإلى حدٍّ كبيرٍ يمكن القول بأنه لولا الكلمات ما كانت الأفعال! ».

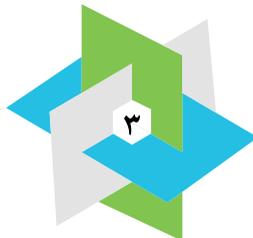
إدوارد سعيد

المصطلحات بين وظيفتي التعريف والدلالة:

يرى إدوارد سعيد أن للمصطلحات وظيفتان، هما: التعريف والدلالة. فيفترض أن يقوم المصطلح بوظيفة التعريف البسيطة، التي تقدم الحد الأدنى من الدلالة على ماهية الشيء بمقابل الأشياء الأخرى، (كالقول بأن فلان مسلم أو مسيحي مثلاً).

أما الوظيفة الثانية فهي الدلالة على معانٍ أشدَّ تعقيداً. وقد يظن البعض أن المصطلح يدل على شيء يعرفه المرء معرفة موضوعية ومباشرة، في حين أن معرفته بهذه المصطلحات قد تُشحن بتعميمات هائلة، وتتخذ طابعاً أيديولوجياً يزخر بمشاعر مشبوبة جارفة تجاه هذا المصطلح أو ذلك.

وقد يقول أحد الناس ما يقوله عن مصطلح معين دون المخاطرة بأن يبدو مخطئاً أو مغفلاً!





وهذا ما يدعو لأخذ الأسماء العامة مأخذ الجد بحسب سعيد.^٢
وينطبق ما ذكره سعيد على العديد من المصطلحات العامة كالإسلام
أو المسيحية أو الشرق أو الغرب، كما ينسحب هذا على التسمية المصطلحية
لليارات والمذاهب الفكرية الواسعة والمتعددة الأطياف.
**والسؤال: هل شحن المصطلح بالمعاني السلبية يحول دون استخدامه؟ أو
يوجب استبداله؟**

وهل يفترض أن يُغرق الكاتب قراءه بالتفصيلات والاستدراكات والتصحيحات
كلما استخدم مصطلحًا مشحونًا بما ذكر؟
لا شك في أن التعامل مع الأسماء العامة (المصطلحات الرئيسة أو الكبرى)
يمثل ضرورة معرفية وإجرائية، فمن جهة، لا يسع الباحثين -مثلًا- التخلي عن
مصطلح (الإسلام) لمجرد ما يثيره من تصورات سلبية لدى القارئ الغربي.
ومن جهة أخرى، لا يسع الباحث أن يسرد قائمة من التصحيحات
والاستدراكات كلما تحدث عن الإسلام اتقاءً للفهم الخاطئ للمصطلح.
ومع هذا فقد حدث أن تخلى الباحثون عن استعمال مصطلحات عامة
مثل (الاستشراق)، بسبب الدلالات السلبية التي ارتبطت به بعد دراسة إدوارد
سعيد حوله في كتاب (الاستشراق).

وقد نقل سعيد جانبًا من رسالة بعثها إليه ألبرت حوراني، وأخبره فيها
«أن كتابه-الاستشراق- أدى بسبب قوة حجته إلى أن أصبح من المحال استخدام
مصطلح الاستشراق بمعنى محايد، وذلك بعد أن اكتسب إلى حدٍ بعيد صفة
السبب»^٣.

وأصبحت الدراسات الاستشراقية توصف بأسماء أخرى مثل (الدراسات

٢- نفسه- ص ٧٩-٨٠، ٨٣.

٣- الاستشراق، ص ٥١٧.





الإقليمية)، أو (دراسات المناطق)٤.

لكن هذه الاستراتيجية فضلاً عن أنها لا تُغيّر من الواقع شيئاً فلا يمكن تطبيقها على كافة المصطلحات كما هو معلوم.

ومن هذه المصطلحات مصطلح (النسوية)، الذي اتسعت تياراته ونظرياته وتطبيقاته واشتدّ الخلاف داخل التيارات في مرحلة ما بعد الحداثة - خاصة- وبات من العسير تعريف النسوية، حتى ذكرت الناقدة النسوية بيل هوكس: «يبدو أن النسوية حالياً مصطلح ليس له معنى محدد، فقد أدى المنهج القائم على قبول أي شيء والمستخدم في تعريف هذه الكلمة إلى تفرّيغها من المعنى تماماً»٥.

ومع ذلك فلا يُحيل مصطلح النسوية دائماً إلى فراغٍ تصوري في الذهن، ورغم الدلالات السلبية التي شحنت بها الكلمة، فلا تزال النسوية تحتفظ بالدلالة البسيطة أو العامة المتصلة بنصرة حقوق المرأة، وإن اختلفت الأيديولوجيات النسوية حيالها.

والدعوة إلى هَجْر مصطلح (النسوية) لتعدد تياراته، أو كثرة خلافاته، أو تشعبه بمعانٍ سلبية، كالدعوة إلى هَجْر مصطلح الماركسية، أو الإسلام أو الفقه، لتعدد صور أحد هذه المفاهيم، أو مذاهبه وتطبيقاته، أو تشعبه بمعانٍ سلبية. غير أن هَجْر المصطلح هو ما دعى الدكتور الغدامي ضمناً في تغريداته حول تعريف النسوية، وسحب هذا الحكم على "كل مصطلح موشوم يشوّش القضية ويحرف مساراتها وإذا توّشم المصطلح- كما يقول الدكتور- فلا سبيل للعودة للنقاء الاصطلاحي إلا بالقفز بعيداً عن الموشوم، واللجوء للمفاهيم العملية وقضية المرأة تحتاج لخطاب عقلائي يرتفع عن الشعاراتية".

٤- نهاية الاستشراق، روزماري صايغ، مجلة العربي ١٩٨٠، والالتفاف على الاستشراق- محاولة التنصل من المصطلح، لعلي النملة، ص ٨٦.

٥- النسوية وما بعد النسوية- سارة جامبل، ص ٧٧، بتصرف يسير.





والدكتور متسقٌ مع رأيه حول الموقف من المصطلح الموشوم، وسبقَ وأن أجراه على مصطلح (الليبرالية) في كتابه (الليبرالية الجديدة)، معتبراً أن الليبرالية توشّمت منذ تسيّست، وعليه فقد تنبأ الدكتور بتقديم مصطلح بديل لها- ليس له صفة ولا اسم على غرار مصطلح ما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية- لعله يحزر الكلمة من مغبّاتها القديمة، ألا وهو مصطلح (ما بعد الليبرالية)، فقد «عمقت الذهنية البشرية عن ابتكار مصطلح مختلف يحزر الذهنيات من اجترار تواريخ مريضة وملوثة بالاستخدامات التشويبية، والتحميلات المثقلة»^٦.

مساءلة تعريف الدكتور عبد الله للنسوية:

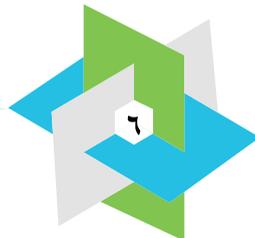
نصّ الدكتور في تعريفه أن «(النسوية) تعني النساء اللواتي يركزن على حقوق النساء حصراً وتحديداً وكأن المرأة وحدها المظلومة. وهذه أنانية ثقافية مركزيها المرأة مع إهمال ما عداها، واختلط الأمر عند البعض فراحوا يصفون كل قول ينصف المرأة بأنه نسوية والهدف هنا هو تمييع القضايا».

والدكتور في جمعه بين عبارة (يركزن على حقوق النساء)، وعبارة (حصراً وتحديداً) يحترز من أحد معاني التركيز، وهو الاهتمام والتوكيد، ووفقاً لهذا المعنى فالتركيز على أمر لا ينفي دخول ما عداه معه وإن كان دونه في الأهمية. ويبدو أن الدكتور يريد المعنى الثاني للتركيز وهو الحصر؛ ولذا عاد في آخر العبارة فوضع قيد الحصر والتحديد مُخرِجاً ما يُحتمل دخوله في دائرة الاهتمام النسوي من قضايا حقوقية جانبية.

ويرد على تعريف الدكتور عدة ملحوظات منهجية.

أما الإيراد الأول فهو الافتقار للدقة التاريخية، فالباحث في الحركات

٦- الليبرالية الجديدة، ١٥٤-١٥٥.





النسوية يدرك تمامًا أنها رغم اهتمامها بقضايا المرأة ونزوع بعضها إلى التمرکز حول المرأة، فإن العديد من هذه الحركات النسوية لم تتشكّل في فراغ، بل تشكّلت تاريخيًا ضمن دوائر اجتماعية أوسع، ومنها الحركات النسوية في العالم الثالث والتي كانت لاعبًا أساسيًا في حركات النضال القومية زمن الاحتلال.^٧

كما أن النسوية أثناء اهتمامها بأشكال اضطهاد واستغلال المرأة وتشبيئها، لم تفصل مناهضتها لاستغلال المرأة عن الأشكال الأوسع للاستغلال الممثلة في الليبرالية الجديدة ونحوها^٨، ولا أدلّ على هذا من الخلاف الفكري بين نسويات الموجة الثانية والثالثة حول نقد الليبرالية الجديدة وطابعها الاستهلاكي المتوحش والمسيء للمجتمع لا المرأة فحسب^٩.

وأما نسوية ما بعد الكولونيالية فقد تشكّلت ضمن دائرة أوسع تنتقد خطابات الهيمنة والعنصرية ولم تكن منبئة عن محيطها النقدي، إن من الناحية الفكرية، أو العملية.

ومن نماذج الشخصيات النسوية المهتمة بالحقوق النسوية وحقوق الإنسان بعامة، الكاتبة والإعلامية والرائدة النسوية الأسترالية جيرمين غرير Germaine Greer التي خضعت للتحقيق بسبب موقفها الداعم لسكان أستراليا الأصليين، وتشبيهه التعامل معهم بالتعامل مع السود في أمريكا، ولمّا لم يلق هذا الموقف استحسانًا في الدوائر الرسمية السياسية، صعدت غرير من موقفها وقامت بحركة رمزية فأعلنت انتماءها إلى السكان الأصليين رغم عدم انتمائها العرقي لهم في حقيقة الأمر^{١٠}.

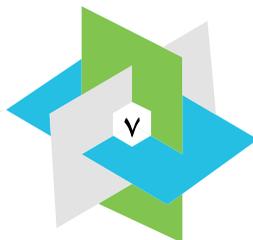
ومن هذه النماذج أيضًا عالمة الاجتماع النسوية الأفرو-أمريكية إيد

٧_ النسوية والقومية في العالم الثالث، كوماري جايا واردينا، ص٤٣، ٦٠-٦٤.

٨_ النسوية وما بعد النسوية، ٨٦-٨٧.

9_ Neo-Liberalism and the Defanging of Feminism, Gail Dines, on YouTube.

١٠_ المرأة المخفية، ص٩.





ويلز Ida Bell Wells-Barnett التي سعت لمنح المرأة حق التصويت، إضافة إلى ريادتها في مجال الحقوق المدنية في الوقت ذاته، حيث قامت بدور مهم في قضية تنفيذ حكم الإعدام دون محاكمة في الولايات المتحدة¹¹.

ومن هذه النماذج الكاتبة النسوية الأمريكية ليتي كوتين بوجربين Letty Cottin Pogrebin المهتمة بحقوق المرأة وقضايا العدالة الاجتماعية، والصراع العربي الإسرائيلي¹².

ومن هذه النماذج أيضًا المفكرة النسوية ما بعد الكولونيالية والأمريكية من أصول بنغالية غياتري سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak التي سجلت موقفًا مهمًا في دعم قضية الروهنغيا، ووصفت ما حدث لهم بأسوأ اضطهاد مورس على مجموعة عرقية في العالم في هذا الزمن، كما أعلنت أنها ستكرّس نفسها للحديث لأجلهم، ولهم، وعنهم بقدر ما يسعها ذلك، علمًا أنها لاتشاركهم الديانة¹³.

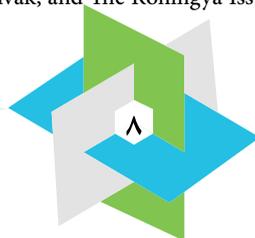
والقائمة تطول وإنما هذه مجرد شواهد ونماذج دالة لا أكثر، لكنها تقود نحو الإيراد الثاني على تعريف الدكتور للنسوية وهو الافتقار للدقة الدلالية، فالكاتبات النسويات وإن دعت طائفة منهن لقصر تناول ودراسة قضايا وتجارب النساء على المرأة ومن منظور المرأة فقط، فإنهن لم يقيدن مفهوم النسوية بالمطالبة بحقوق المرأة لا غير.

والتعريفات المطروحة للنسوية على تعددها لا يُلاحظ فيها تقييد نصره حقوق المرأة بكلمتي (حصرًا وتحديدًا) وهو القيد الذي ألصقه الدكتور

11_ To Tell The Truth Freely: The Life of Ida B. Wells.

12_ The Playpen of the Patriarchs: Letty Cottin Pogrebin , Lilith Magazine, 1989.

13_ , Encyclopedia Britannica. Gayatri-Spivak, and The Rohingya Issue in a Global Context on YouTube





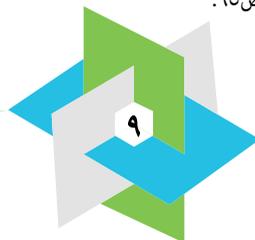
بتعريف النسوية.

ثم وهو الأهم، وعلى فرض انطباق هذا التعريف على فئة أو تيار معين من تيارات النسوية، فهل الخلاف الفكري مع النسوية يُعد مبرراً لاختزال تعريفها في فكر هذا التيار - مهما كان حجمه وتأثيره - وتعميم تعريف هذا التيار على كافة تيارات النسوية من خلال طرحه تعريفاً للنسوية بإطلاق؟! لا مبرر لهذا الاختزال قطعاً، ولا يقول بهذا باحث موضوعي.

ولو عدنا لرأي الدكتور في تحديد المصطلحات لوجدنا له رأياً مثبتاً فيها، فالدكتور لا يسعى أصلاً للتحديد النهائي والوضوح الدلالي أو القبض على معنى، وفي هذا يقول الدكتور: «الخلاف على المعنى الاصطلاحي يصبح أمراً حتمياً ويصبح خاصية قسرية تلازم المصطلح، وهذا يفتح باباً للجدل ليس له نهاية لأن ليس له مرجعية عينية تحسم أمره، وسينتهي بنا المطاف إلى التسليم بأن البحث في النظريات والمقولات والمفاهيم ومعها المصطلحات ليس بحثاً في تحديد معانيها- وإن توهمنا ذلك- ولكنه بحث في رفض مفاهيم الآخرين وتصوراتهم لمعاني المصطلحات، وفي الوقت ذاته محاولة لخلق مفهوم خاص بنا، وهو مفهوم سيجري رفضه من غيرنا وعدم التسليم به»^{١٤}.

ويكمل مؤكداً عدم ثبات المفاهيم ووضوحها الدلالي، وواصفاً الجدل حول المصطلحات بقوله: « هو جدل في تقديم أمر سيكون مرفوضاً من غيرنا، وما بين الرفض والرفض ينكتب تاريخ الفكر وتتأسس مسيرته، وهذه سيمولوجية لا بد لأي مصطلح أن يعيشها ولا بد لأي باحث نظري يمارسها باطراد أزلي، وهذه خاصية تجعل المنظومة المفاهيمية منظومة سيمولوجية تعني الشيء وخلافه في آن، لأنها أبداً في حال من الرفض، ورفض الرفض وهي تاريخ لا ينتهي

١٤_ الجنوسة النسقية- أسئلة في الثقافة والنظرية، ص ٩٥.





من التعديل والتحوير، وهذا ليس تاريخ المصطلح فحسب، وإنما أيضًا ميزته ومصدر ثرائه وإثرائه، وهو ما يجعل المصطلح علامة سيمولوجية حرة ودائمة الحرية»^{١٥}.

ويستدعي هذا الرأي مفارقتين:

المفارقة الأولى: أن ثناء الدكتور على هذه الخاصية المميزة للمصطلح التي (تعني الشيء وخلافه في آن)، ينقلب إلى ذم باعتبارها عيبًا حين وصف هذا النوع من المصطلحات-في موضع آخر من كتبه- بالمصطلح المخاتل، وهو المصطلح الذي «يتحول عبر الاستخدام وعبر متغيرات الظروف ليكون مصطلحًا مخاتلاً فيعني الشيء ونقيضه في آن واحد»^{١٦}.

لكن هذه المفارقة تُظهر في الوقت نفسه اتساق الدكتور مع استراتيجياته النظرية الن سبية، وتؤكد سمة يشترك فيها ما بعد البنيويين غالبًا، وهي (خاصية التشظي الناتجة عن إجراءاتهم النقدية) كما عبّر عنها الناقد بارت مور جليبرت Bart Moore Gilbert متحدثًا عن أثر التفكيكية في فكر غياتري سيفاك^{١٧}.

المفارقة الثانية: أن الدكتور لم يكتفِ في نصّه السابق بتوصيف سيرة المصطلحات بل بارك تحررها الدائم من المعنى. والمفارقة العملية هنا أن الدكتور لم يكتفِ بتجنب الوقوف في صف الوضوح الدلالي فحسب، بل اتسم بعدم الوضوح الأيديولوجي أيضًا، فقدم تعريفه لجمهور سألهم تحديد

١٥_ نفسه.

١٦_ الليبرالية الجديدة، ص ١٢٨.

17_ Postcolonialism Theory-Context, Practices, Politics, P57.





المفهوم طلبًا للوضوح الدلالي المقصود من التحديد عادة، فقدمه لهم الدكتور من منطلقات أيديولوجية لا تسعى أصلاً لهذا الوضوح -كما تبين- ولو خلع الدكتور الغدامي العباءة عن مقاصده لطارت أسراب المعاني منها!

الاختزال والتفادي

لا أبالغ إن ذكرت أنني فوجئت بموقف الدكتور من حيث المفهوم المختزل الذي صاغه للنسوية من ناحية، وبالتناقض الواقع بين فكر الدكتور وموقفه العملي تجاه النسوية من ناحية أخرى، كما سيجري تفصيله.

ومعرفة الدكتور الغدامي المعمّقة بالنسوية والنقد النسوي التي لا يخطئها من قرأ نتاجه النقدي، هي ما أثار لدي التساؤل بوصفي باحثة سبق لها نقد الخطاب النسوي العربي لأسباب تتصل برؤاه الناظمة، ومرتكزاته المرجعية والمنهجية، واستراتيجياته في التغيير المجتمعي.

الأمر الذي حملني على الإفصاح عن تساؤلي فعلّقت على تغريدة الدكتور حول تعريف النسوية بقولي: «مع تقديري دكتور عبدالله فالمفهوم الذي طرحته للنسوية يتصف بـ(الاختزال) ويغفل تطورها التاريخي والموضوعي ويفصل بين النسوية حركة وفكرًا وإلا فأين تقع قضايا كالجندر واللغة والثقافة والذكورية من الفكر النسوي!

وهل يمكن أصلاً فصم مؤلفاتك نفسها حول المرأة واللغة والثقافة عن النقد النسوي!

فلم يجب الدكتور على تساؤلي واكتفى بالإحالة إلى كتبه بقوله:
«ربما تنظرين في كتابي المرأة واللغة أو كتابي الجنوسة النسقية، إن شئت





وكلاهما في موقعي».

فأجبتة بقولي: «تساؤلي دكتور عبدالله عن اطلاع ومعرفة بمؤلفاتك وبالفكر النسوي وإلا ما كنت لأستفسر عن تعريفك المختزل للنسوية ولا عن صلة مؤلفاتك بالنقد النسوي».

فأجاب: «ما دمت تعرفين كتبي فلن يخفى عليك مفهومي للمصطلح، وفكري بالسطرين الأخيرين من تغريدتي».

فأجبتة: «ليس التساؤل حول خفاء مفهومك للمصطلح في (كتبك) دكتور عبد الله بل على العكس التساؤل حول (المفارقة المعرفية والإجرائية) الواقعة في تعريف النسوية الذي ذكرته في تغريدتك وبين مفهومك للنسوية واستمدادك المباشر من النقد النسوي في كتبك».

فأجاب: «هل ما زلت غير مهتمة بالسطرين الأخيرين».

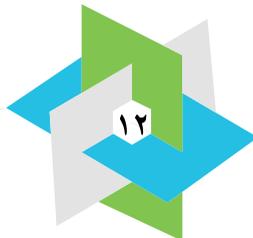
فأجبت: «بل أجبته حول السطرين اللذين اقترحت تأملهما في آخر التغريدة. فلا أخالك ولا أخالني سنقع في فخ المعرفة العمومية أو الشائعة المليئة بالأخطاء والتي تفرض نفسها كحقائق -بحسب تعبير غاستون باشلار- سواء أكانت هذه المعرفة الشائعة تتصل بالنسوية أو غيرها!».

فأجاب: «بل يهمني، ويجب أن يهمني أنا ناقد ثقافي ويهمني قراءة عيوب الخطاب وتسميتها بأسمائها».

فعدت مؤكدة نقدي لتعريفه بقولي: «رائع دكتور ما دام الأمر يهملك -وهو كذلك- فاختزال النسوية في هذا التعريف لا يليق بخطابك النقدي، وسياق التغريدة لا يبرره».

بل السياق الثقافي نفسه الآن يفرض التمييز والتفصيل لا الاختزال».

لكن جواب الدكتور جاء مرة أخرى خارج التساؤل الأساسي حول المفارقة





المذكورة، إذ قال:

«أما شرط تشريح الخطاب فيتطلب قراءته بكل وجوهه (المدافع والرافض)، وهما معا يصنعان الخطاب ولا وجود لخطاب بوجه واحد وقراءة الخطاب معقدة ومتعددة الوجوه ولهذا نستطيع كشف المضمرة عبر فحص وجوه الخطاب المتعددة».

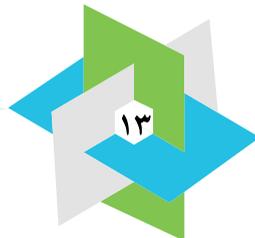
وانتهى الحوار عند هذه النقطة حيث أصبح القبض على الجواب أشبه بالقبض على سائل زبقي لا يفتأ يتفلت من صاحبه.

الانقلاب على النسوية

لم تتوقف تعليقات المغردين والمغردات على تعريف الدكتور الغدامي للنسوية، فأفصح الدكتور أخيراً عن السبب الحقيقي لتعريفه المختزل للنسوية في تعليقه على إحدى المغردات التي قالت: «وكأنه يعيب النسوية هذا التعريف؛ مع أنه غير منصف، لكن لا بأس فلتتهم بقضايا المرأة وحدها لأنها تمثل الغالبية المظلومة، سيتوسع المفهوم فيما بعد ليشمل المظلومين من الجنسين أما الخلط الناتج فليس ذنب النسوية، مع انه تم استغلاله بشكل سيء وأساء للقضايا العادلة كثيراً».

فكان جواب الدكتور:

ملاحظة صحيحة وكل مصطلح موشوم يشوّش القضية ويحرف مساراتها وإذا توّشم المصطلح فلا سبيل للعودة للنقاء الاصطلاحي إلا بالقفز بعيداً عن الموشوم، واللجوء للمفاهيم العملية وقضية المرأة تحتاج لخطاب عقلاي يرتفع عن الشعاراتية.





ويُلاحظ في خطاب الدكتور عبد الله في التغريدات السابقة جميعًا، والتغريدة الأخيرة تحديدًا، ثلاث سمات، هي: **المواربة**، **القصدية**، و**التحول البراجماتي**.

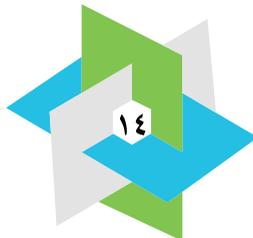
_فأما **المواربة** فتظهر في تفادي الاعتراف باستمداده من النسوية التي تبني الدكتور أهم قضاياها الفكرية في كتبه، واستمد من إجراءاتها النقدية بصورة مباشرة، ومهد لها الأرض بالكلمات- على حد وصف إدوارد سعيد- حتى اختاره بعض الباحثين والباحثات موضوعًا لدراساتهم، وباتت كتبه مرجعًا أساسيًا لآخرين باعتباره من أهم منظري النقد النسوي ومستثمريه في العالم العربي.

_وأما **القصدية** فتظهر في حديث الدكتور الصريح عن (القفز بعيدًا) عن المصطلح الموشوم حيث باتت النسوية الآن مصطلحًا موشومًا «يشوّش القضية ويحرف مساراتها وإذا توّشم المصطلح فلا سبيل للعودة للنقاء الاصطلاحي» على حد قوله. ولا يخفى ما في تعبير (القفز بعيدًا) من دلالات تتصل بأمرين أحدهما: الإشارة إلى النسوية كسفينة أوشكت على الغرق، والثاني: الابتعاد عنها والسلامة من تبعات تبني المصطلح.

_وأما **التحول البراجماتي** فيظهر في البحث عن بديل عملي للمصطلح الموشوم. والسؤال: هل يُعد توّشم المصطلح أمرًا حادّثًا على النسوية؟ وهل تمتّع مصطلح النسوية منذ بواكير استعماله بالنقاء الاصطلاحي؟

الجدير بالذكر أن الأمثلة الأولى لمصطلح النسوية في قاموس أكسفورد الإنجليزي تحمل معانٍ سلبية. ومن اللافت للنظر أيضًا أن إحدى أقسى الهجمات على كلمة (نسوية) جاءت من فرجينيا وولف نفسها، وهي التي تصنفها النسويات رائدة من رائدات الفكر النسوي.

فقد أصرت فرجينيا وولف على وجوب تدمير هذه الكلمة، ووصفتها بالكلمة القديمة والشريرة والفاسدة لتسببها بضرر كبير في أيامها. وأضافت





وولف أن كلمة نسوي المشار إليها تعني بحسب المعجم (الشخص الذي يناصر حقوق المرأة). ومنذ أن حصلت المرأة على حقها في كسب العيش أي العمل، لم يعد للكلمة معنى-بنظرها- و(كلمة بدون معنى، هي كلمة ميتة، كلمة فاسدة) كما تقول وولف¹⁸.

وتذكر الباحثة Margaret Walters أن كلمة نسوية بقيت -حتى الستينات على الأقل- أقرب ما تكون إلى وصفٍ تحقيري أو ازدرائي، وقلّة قليلة من النساء في إنجلترا من كنَّ يصفن أنفسهن بأنهن نسويات رغم مشاركتهن بعمق في النضال من أجل حقوق المرأة.

وتساءل: «كم عدد المرات التي ما زلنا نسمع فيها النساء يؤكدن بقلق: (أنا لست نسوية ولكن...) بينما يواصلن تقديم مطالبات تعتمد على أساس نسوي، وسيكون من المستحيل تقديمها دون الاعتماد على هذا الأساس النسوي؟»¹⁹.

وجادلت النسوية الأمريكية إستيل فريدمان Estelle Freedman بأن الكلمة من أصلها تحمل دلالات سلبية، وأن قلّة من النساء المنخرطات في السياسة لقّبن أنفسهن نسويات.

ونتيجة لهذه الحمولة السلبية والتحقيرية للمصطلح، حدّرت بعض النسويات في إنجلترا والولايات المتحدة في التسعينات من (ردّ الفعل) ضدّ النسوية ومنجزاتها، حيث أصبح وصف المرأة بالنسوية أشبه برميها بوصف (ساحرة) قديمًا²⁰.

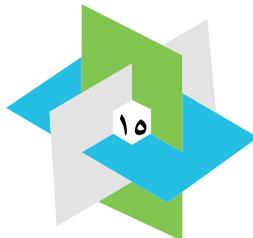
فمتى تمّتع مصطلح النسوية بالنقاء ليحرم منه!

الواقع أنه لا يخفى على المراقب للمشهد الثقافي أن توّسم المصطلح ظهر

18_ Feminism: A Very Short Introduction, Margaret Walters, P3-4.

19_ Ibid, P3.

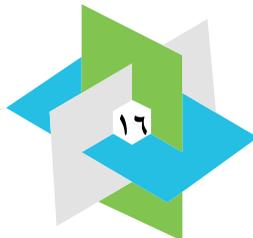
20_ Ibid, P5.





لدى الدكتور الغدامي لعدة أسباب، أهمها الحراك النسوي السعودي المنظم والممثل في الدعوة لإسقاط الولاية، والذي أيده الدكتور في البداية، لكن هذا الحراك توسّع وصَعّد مواقفه عبر الاستقواء بالخارج، كما في قضية التحريض على تطبيق رسمي للأحوال المدنية يخدم ملايين المواطنين والمعروف بتطبيق (أبشر) إضافة إلى هروب الفتيات والتسييس الدولي له، والذي أفرز استياءً اجتماعيًا واسعًا مما حدث؛ ما دفع الدكتور فيما يبدو إلى (القفز بعيدًا) عن المصطلح.

وإلا فلم يسبق هذا الموقف السياسي والاجتماعي المتضرر أو المستاء أو الراض أو المتوجس من النسوية -في أخف الأحوال- سوى موقف المنطلقين من المنظور الإسلامي في الدول العربية من النسوية حركة وفكرًا، وهو موقف ليس جديدًا كما لم يكن مُحفَظًا ولا دافعًا للدكتور لهجر المصطلح لأجله، وقد تمثّل الموقف الإسلامي من النسوية في مستويين: الأول منهما، هو المستوى الجماهيري، حيث انتقدت مواقف رائدات حركات تحرير المرأة في الدول العربية من مسائل تتصل بالشريعة والأخلاق كالحجاب ونحوه، أما المستوى الثاني لنقد النسوية من المنظور الإسلامي فقد كان نخبويًا، وتمثّل في عدة دراسات تناولت شخصيات ومفاهيم ومقولات ومنهجيات نسوية أوسع وأكثر عمقًا، ولم يكن هذا الطرح بارزًا على المستوى الجماهيري، فلم يتبناه الدعاة والوعاظ غالبًا، بل جرى التداول الرئيس له في دوائر البحوث والنشر، ومما نشر تحت هذا التصنيف سلسلة إصدارات مؤسسة البيان حول الحركات النسوية في العالم العربي، بالإضافة إلى الأطروحات الأكاديمية الصادرة عن جامعات عديدة في المملكة والمنشورة عبر عدة مراكز بحثية كمركز باحثات لدراسات المرأة، والجمعية العلمية للدراسات





الفكرية، ومركز نماء للبحوث والدراسات.
ويبقى السؤال هل انقلاب الدكتور الغدامي على النسوية كان لأسباب
واقعية محضة، أم لأسباب تتصل بمنهجه الفكري أيضاً؟
هذا ما سنحاول الإجابة عنه في المحور الأخير لهذا المقالة.

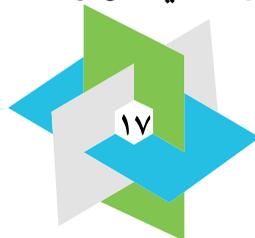
بين مهمة الناقد الثقافي والركون لسلطة المعرفة العمومية / الشائعة:

كنت قد ذكرت سابقاً تغريدتي التي بينت فيها أنني أربأ بالدكتور
الغدامي عن «الوقوع في فخ المعرفة العمومية أو الشائعة المليئة بالأخطاء،
والتي تفرض نفسها كحقائق -بحسب تعبير غاستون باشلار- سواء أكانت هذه
المعرفة الشائعة تتصل بالنسوية أو غيرها».

كما ذكرت جواب الدكتور على تغريدتي بالقول: «يهمني، ويجب أن يهمني
أنا ناقد ثقافي ويهمني قراءة عيوب الخطاب وتسميتها بأسمائها».
لكن الدكتور -وقبل أن يقدم قراءته لعيوب الخطاب- ارتكب ثلاثة أمور
تتناقض بداهةً ومهمة الناقد الثقافي:

الأول: الاستسلام للمعرفة الشائعة والملتبسة لمصطلح النسوية.
الثاني: المصادقة على هذه المعرفة الشائعة وصياغتها في تعريف مختزل
يفتقر للدقة التاريخية والدلالية على النحو الذي سبقت الإشارة إليه.
الثالث: تسويغ صياغته للتعريف المذكور بسبب الفهم الملتبس للنسوية
والخلط الخاطئ الواقع بشأنها.

ويبدو الفرق كبيراً بين مجرد التخلي عن المفهوم الموشوم كما حدث
مع مصطلح (الاستشراق)، وبين ما يمكن وصفه بالمساهمة في التضييل المعرفي



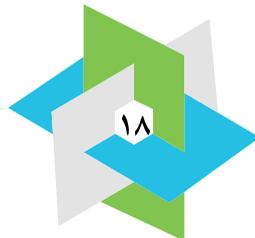


بواسطة الصياغة المختزلة لمفهوم معين بالمصادقة على وشومه، ونبذ هذا المفهوم الموشوم وتجاوزه من قبل مثقف له ثقله ومكانته في العالم العربي كما فعل الدكتور الغدامي، والذي كان يُنظر منه كشف الالتباس والتمييز بين الدلالات الحقيقية والزائفة، والاستبعاد والاستبقاء، والقبول والرفض لأي مفهوم من ثمّ.

النسوية المتخيلة

بعد إدانة النسوية والانقلاب عليها يجدر التساؤل حول مفهوم الدكتور الغدامي للنسوية التي كانت مرتكزاً لتناجه النقدي طيلة السنوات الماضية، والتي اقترح الدكتور (القفز بعيداً عنها) ليكون البديل للمطالبة بالحقوق هو ما أوجزه بقوله: «الحقوق متعالية وشريفة ولتحتفظ بتعاليتها تتطلب تمثيلاً فكرياً وسلوكياً يحاكي شرفية الحقوق، حين ناضل مارتن لوثر كنج ومانديلا اختاراً نموذج غاندي، هذا مثال لطرق تمثيل الحقوق بمعنيها المتعالي والشرفي والنضالية درجات وأشرفها النضالية الحقوقية وأخطرها الشعاراتية = (المظلومة)». والأسئلة التي يثيرها النص السابق تُبدي حجم الإشكال المعرفي والمنهجي لدى الدكتور فيما يتعلق بالنسوية؟

فهل كان الدكتور يصدّر في كتبه عن نسوية متخيلة؟ وهل يمكن فصم وما موقع مفهوم (شرفية الحقوق) من النسوية؟ شعار المظلومية عن خطاب النسوية منذ تشكلها المبكر؟ وهل خلت التواريخ النسوية من نماذج أنثوية للنضالات المتعالية للحقوق على غرار نماذج الذكور التي ضربها الدكتور مثلاً يحتذى؟





ثم أين موقع (شرفية الحقوق) من المطالبات النسوية بالحقوق المتصلة بالشرط الأخلاقي كحرية المرأة الجنسية وقضايا المثلية، وعدم تجريم البغاء؟ وهل خطاب الصدمة، والشعاراتية، والاستقواء بالخارج، والتوسل بمثل هذه السلوكيات غريبًا على النسوية التي تُصنّف منهجيًا ضمن الخطابات البراجماتية؟ وبعبارة أخرى هل رقيّ الخطاب من لوازم النسوية؟

الواقع أن الباحث في الفكر النسوي وحراكه في موجته الأبرز والأعرض والأكثر تأثيرًا، وهي الموجة النسوية الثانية، يُدرك تنوع الوسائط التي عبرت بها الحركات النسوية البارزة لتلك الموجة عن مطالبها الثورية، كما يدرك توظيف خطاب الصدمة في هذا المطالبات، ومن أبرز هؤلاء الرائدات جيرمين غرير صاحبة كتاب (المرأة المخصية) *The Female Eunuch*، الذي يعد من أهم النصوص النسوية ومن أكثر الكتب مبيعًا. وقد ذكرت غرير في مقدمة هذا الكتاب أنه «إذا لم يُثر السخرية أو الشتم فسيكون قد أخفق في تحقيق غايته»^{٢١}. وقد كانت غرير تعي تمامًا مدى إثارة كتاباتها التحريضية للجدل حتى قالت: «كلما زاد عدد الناس الذين نثير غضبهم، زدنا ثقةً أننا نقوم بما هو صائب»^{٢٢}.

وقد طبّقت غرير ما ذكرته إيمانًا منها بأن الطرح الذي لا يُثير السخط لا يستحق التأثير. فشاركت في إحدى المجلات الإباحية، وظهرت في رسم على غلاف مجلة أخرى مع امرأة أخرى بوضع مُشين، ولم تكن تتورع عن التلفظ بأي تعبير فاحش في الأماكن العامة مما حمل الأمن على إيقافها مرات عديدة، وحدث أن تعرضت للتوقيف ودُفع الغرامة في نيوزيلندا بسبب تلفظها أمام

٢١_ المرأة المخصية، ص ٣٤.

٢٢_ نفسه، ص ٩.





الجمهور بكلمات خادشة للحياء العام^{٢٣}.

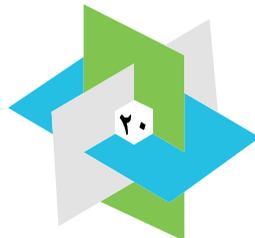
أما على مستوى الحراك الجماعي، فالمظاهرات التي خرجت بها النسويات المحتجّات على المجتمع الأبوي عاريات الصدر، أو حرقن أو ألقين فيها ملابسهن الداخلية في القمامة، أشهر من أن تذكر، وما زال التعري صورة من صور احتجاج النسوية المعاصرة^{٢٤}.

فإما أن الدكتور يجهل هذا الجانب الثابت تاريخياً من النسوية، وهو ما لا يُظن بناقد بحجم الغذامي، وإما أنه لا يعترف بهذا الجانب ويتعمد تجاهله ويمارس انتقائية تجاه النسوية إن من الناحية التاريخية أو الفكرية، وفي هذه الحال لا بد من إيضاح يفسر غياب الموضوعية المطعون بها في خطابه الأخير. فكما أن النسوية أوسع من أن تختزل في هذا التيار أو ذاك، فهي أظهر من أن يتم تعمية بعض جوانبها.

والواقع أن الدكتور الغذامي لم يكن يجهل هذا الجانب من النسوية فيما يبدو، لكن تعاطيه النظري مع موضوع المرأة أثار في اضطراب موقفه من النسوية؛ إذ يذهب أحد الباحثين إلى أن «تعاطي الغذامي مع مفهوم المرأة كموضوع (لغوي) أدى إلى تثبيت (أمودج متعال للمرأة) وتحديد لها ضمن فلسفة لغة وضعية ولسانيات شكلانية، وإلى تجريد مفهوم (act) من وظيفته في الإنجاز والفعل ليغدو مجرد قانون ومعيّار (normative) قارّ وثابت ومحصور ضمن حدود عمل اللغة ومفصلها مع الجانب المعجمي أو القاموسي (lexical) والنحوي (grammatical) والسينتاكسي (syntactical) وهذا ما يجعل بطبيعة الحال من شكل اللسانيات المسيطر والسائد على أطروحات الغذامي هو

23_ Germaine: the life of Germaine Greer, Elizabeth Kleinhenz.

24_ Feminists Who Changed America, 1963-1975, Barbara J. Love, and We are Femen, the naked shock troops of feminism, Inna Shevchenko, The Guardian.





(linguistic act) أي اللسانيات التي تتمركز حول التحليل الشكلاني والنظري للتاريخ والثقافة»^{٢٥}.

ويكمل الباحث متسائلاً: إذا كان مشروع الغدامي يهدف إلى إعادة اكتشاف تاريخية الوجود النسوي في أدبيات الثقافة العربية من خلال رصد تحول المرأة من موضوع لغوي محدد ضمن فضاء النص المكتوب إلى ذات فاعلة ضمن الفضاء التاريخي، فلماذا لم يعمد الغدامي إلى تفكيك فلسفة (اللسانيات الشكلانية/ الوضعية) والانتقال من ثمّ إلى تأويل مفهوم الذات النسوية الفاعلة- بواسطة مفاهيم ومناهج أخرى- بهدف التحرر من النزعة الحتمية المسيطرة على لسانيات الفعل أحادية التوجه؟ إذ لا يمكن أن يتحقق له هذا دون تفكيك بنية تاريخ المنطق التي سيطرت على تاريخ اللغة واللسانيات، ولن يتأتى ذلك ما لم يُحقق الغدامي قطيعة أبستمولوجية ومنهجية ونظرية لاكتشاف المرأة الفاعلة^{٢٦}.

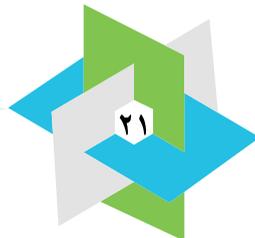
هذا فيما يخص النسوية إجمالاً، أما فيما يخص خطاب الحراك النسوي السعودي الذي أشعل مواقع التواصل تحت شعار حملة إسقاط الولاية تحديداً، فيُلاحظ أن الدكتور لم يضعه تحت مجهر النقد الثقافي، ولم ينتقد قبحياته الثقافية في وسائل التواصل تجاه المخالف رجلاً كان أم امرأة، إضافة لظهور عدة عيوب منهجية بارزة لا تخطئها عين أي ناقد لهذا الخطاب، منها:

سيطرة النفعية والحشد الأيديولوجي، والسطحية وغياب المحاكمة المنطقية الممثلة في: عدم التأكد من سلامة الدعوى، وعدم الاهتمام بموثوقية الأدلة، وعدم الاهتمام بالبرهنة في المسائل التفصيلية والاستدلال بالعموميات.

و أود الإشارة أخيراً إلى أن الدكتور وإن لم يكن مؤثراً بصورة كبيرة في الحراك

٢٥_ جدل الفلسفة النسوية والدراسات الثقافية بين الوردى والغدامي- حيدر علي سلامة، مقالة نشرت في مجلة الجديد، ٢٠١٧.

٢٦_ نفسه.

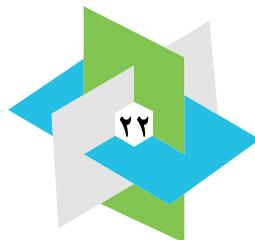




النسوي السعودي الممثل في حملة إسقاط الولاية والمتّسم بغلبة الطابع الشعبي الثوري وضعف التمثيل الفكري، لكن الدكتور شارك بمؤلفاته المستندة للنقد النسوي في تعزيز النسوية التي أدانها وانقلب عليها أخيراً حين فوجئ بامرأة هذا الحراك تنتقل من (موضوع لغوي ساكن) إلى (ذات فاعلة متكلمة) دون أن يُقدم ما تفترضه المسؤولية الثقافية تجاه المصطلح، فلم يقدم نقدًا موضوعيًا للنسوية، ولم يُنكر صراحة صلته المعرفية بها، وكل ما فعله الدكتور الغدامي لا يعدو كونه مناورة ثقافية للتصل من علاقته الفكرية بالنسوية، وهو سلوك لا ينسجم ومحورية تأثيره الفكري في النسوية العربية المعاصرة، فقد أسهم الدكتور الغدامي بشكل أساسي في بناء قاعدتها النظرية ورفدَها بالشواهد النقدية واستثار بكتاباتهِ المظالم التاريخية إن في التراث أو الثقافة المعاصرة. ومن يحاول حجب صلة وتأثير كتابات الدكتور الغدامي في النسوية العربية فكأنما يحاول حجب الشمس بيديه!

وكما يقول سعيد: « لولا الكلمات ما كانت الأفعال! ».

ملاك إبراهيم الجهني





عبدالله الغدامي @ghathami

ملاحظة صحيحة
وكلم مصطلح موشوم يشوش القضية ويحرف
مسمارتها
وإذا توشم المصطلح فلا سبيل للعودة للنقاء
والجود للمفاهيم العملية
وقضية المرأة تحتاج لخطاب عقلاني يرتفع عن
الشعاراتية

فاطمة العبيد @AlAssilFatima
ردًا على @ghathami
و كأنه بعيد النسوية هذا التعريف ومع أنه غير منصف
لكن لا بأس فلنقدم بقضايا المرأة وحدها لأنها تعقل
العالية المطلوبة ، سيتوسع المفهوم فيما بعد ليشمل
العقلومين من الجنسين .
أما الخلط الناتج فليس ذنب النسوية ، مع أنه لم استعد

عبدالله الغدامي @ghathami

رأيت نكتور ما دام الأمر يهتك وهو كذلك
لما نطال النسوية في هذا التعريف لا يبق
ويطابق الفدي وسؤال التعريفة لا يورد
بل السؤال الثقافي نفسه الآن يفرس التمييز
المعروف متعالية وشريفة
وتحتفظ بتعاليتها تطلب تمثيلا فكريا وسليكيها
يماكني شريفة المعقوق ، حين نخلص مارش لثبر
كبح وبالدبلا اخترا نموذج عادي ، هذا مثال
لطرف لتمثيل المعقوق بمعنيها المعالي والشريفة
والنضالية درجات وأشرفها النضالية المعقوقية
واخطرها الشعاراتية = (المعقوقية)

مشارف النماط @m_sharraf
Replying to @ghathami
تعريف رائع وواقي استنادا والى اعطاء هذه
المصطلحات افضحا لتدبر من اسر المصطلح حتى
ويسهل لجمهورنا وعلى من المعقوق ان تقول ان
النسوية المنطق من كونها تعبير للجنس البشري
المتكون اكثر من مسألة حقوق وسياسة هذا مثلا سطر .

مركز
Gender Studies

